

ترجمات



# الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية: دراسة مقارنة لأوجه التشابه

• براين كلوج •

ترجمة:

عبد الحكيم الفرقان



مركز نهوض  
للبحوث والدراسات  
NOHOUDH CENTER  
FOR RESEARCHS  
AND STUDIES

# الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية: دراسة مقارنة لأوجه التشابه (\*)

• براين كلوج •

ترجمة:

عبد الحكيم الفرقان

(\*) ترجمة للمقال التالي:

"The limits of analogy: comparing Islamophobia and anti-Semitism" - Brian Klug. Patterns of Prejudice. Volume 48, 2014 - Issue 5: Imaginaries of the Other: past and present expressions of Islamophobia (<https://doi.org/10.1080/0031322X.2014.964498>).

## الفهرس: ◀

٤	..... الملخص
٥	..... مقدمة المترجم
٦	..... النص المترجم
٦	..... - هل المسلمون هم اليهود الجدد؟
١١	..... - المصطلح والمفهوم
١٤	..... - الشكل والمضمون
٢١	..... - استخدامات التشابه
٢٧	..... سيرة وجيزة عن المؤلف
٢٧	..... سيرة وجيزة عن المترجم

## المُلخَص: ◀

■ يعيش المسلمون اليومَ مأزقًا مماثلًا لما عايشه اليهود من قبل، سواء في بريطانيا على الخصوص أو في الغرب على العموم. وثمة رأي يقول إن "المسلمين هم اليهود الجدد". تتمحور دراسة Brian Klug حول مناقشة الرأي السائد بأن الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة، وتحليل أوجه التشابه بينهما. حيث تقدّم الفقرة الافتتاحية الخطوط العريضة للجانب السياسي. وبعد ذلك، يستعرض Klug مصطلحي 'معاداة السامية' و'الإسلاموفوبيا' من خلال إبراز دلالات المفهومين ومضامينهما، ودراستهما بالتفصيل. ويستخلص استنتاجات محدّدة من خلال كلّ من المنطقيّين العام والخاص الرائجين. وفي الختام، يعود Klug لتحليل الجانب السياسي ودراسة أوجه التشابه عبر نقد الأطروحة التي قدّمها Mattil Bunzl. ويؤكّد Klug أن التساؤل الذي يجب طرحه ليس 'هل الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية متشابهان؟'، ولكن 'ما قيمة هذا التشابه؟'. إذ إن قيمة التشبيه تتجلّى في تسليط الضوء على الحقائق الاجتماعية والسياسية التي تواجهنا في الوقت الرهن، وهل هي واضحة أم خفيّة؟ ويميل Klug نحو تأكيد أوجه التشابه بين معاداة السامية في الأمس والإسلاموفوبيا في الحاضر، لكن في إطار محدّد.

### ■ الكلمات المفتاحية:

معاداة السامية - الإسلاموفوبيا - اليهود الجدد - المسلمون - معاداة السامية الجديدة.

## ◀ مقدمة المترجم:

■ بالنسبة إلى الكثيرين، ترتبط الإسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام بمجمل قضايا الإرهاب الحديثة وبالخصوص ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2011 الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن الأمر أبعد من ذلك. فالإسلاموفوبيا هي نتاج تراكم تاريخي طويل من الصراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي، وهو ما ربطه إدوارد سعيد بالتصادم الحضاري. وقد قعت مؤخرًا عدّة حوادث في بقاع كثيرة حول العالم تستهدف مباشرةً المسلمين، نتيجة صور نمطية مفبركة عن الإسلام.

■ فإلى أي حدّ يمكن قياس ما يعيشه المسلمون اليوم من ترهيبٍ وعداءٍ بما عايشه اليهود من قبل؟ هل يمكن اعتبار المسلمين هم اليهود الجدد في الغرب؟ هل هناك أوجه تشابه بين معاداة السامية في الأمس والإسلاموفوبيا اليوم؟ بالنسبة إلى براين كلوج (Brian Klug)، فإن المأزق مماثلٌ، سواء في بريطانيا على الخصوص أو في الغرب على العموم. وتتناول دراسته الظاهرتين بالتحليل من الجانبين السياسي والتاريخي. وفي هذا السياق، يحاول الكاتب إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الظاهرتين شكلاً ومضموناً. هل الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة؟ بالتأكيد هناك تشابه، ولكنه ليس تشابهاً تاماً. إذ وفقاً للكاتب، فالإسلاموفوبيا اليوم تعني - أو تشبه بشدّة - معاداة السامية في الماضي. وهذا يعني أن معاداة السامية لم تختف، بل أصبحت أكثر ضراوةً من قبل، ولم يحل محلّها أي تعصّب موجّه ضد المسلمين (أو أي مجموعة أخرى). في معظم الأحيان، نشهد جدالات بين المسلمين واليهود غالباً ما تأخذ وتيرة الاتهامات فيها مجرى غير مسبوق، محاولين تبرير العنصرية الموجهة ضد كل فئة. إن مقارنة الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية هي جزءٌ من طرحٍ واسعٍ حول ما إذا كان المسلمون اليوم هم "اليهود الجدد" أم لا، وذلك بالنظر إلى حالة التعددية العرقية في بريطانيا والمجتمعات الغربية الأخرى في الوقت الراهن.

■ ومن جهة أخرى، يوضّح الكاتب مضامين الظاهرتين؛ إذ على الرغم من التباين في أصل المصطلحين وتركيبهما، فاستخداماتهما تحتاج إلى المزيد من التحليل. فمفهوم معاداة السامية يعني مناهضة اليهود (أو الصفات المنسوبة لهم)، أما الإسلاموفوبيا فتعني الخوف من دين الإسلام. وهناك عدّة مغالطات قد تُفقد المصطلحين دلالاتهما، منها الرأي القائل بأن معاداة السامية تستهدف كلاً من العرب واليهود بوصفهما شعباً "سامياً". ومن خلال دراسة المفهومين شكلاً ومضموناً، يبرز الكاتب السمات المرتبطة باليهود والمسلمين من خلال الصور النمطية المكتسبة؛ إذ إن المنطق الذي تستند إليه العنصرية هو نفسه في كلتا الحالتين: إمّا أن تستبعد الآخر من المجتمع تماماً، وإمّا أن تجعله في الحضيض.

■ وفي الختام، لا بدّ من التأكيد على أن صناعة الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية تتخذان أشكالاً متغيّرة باختلاف الوضع السياسي والاجتماعي المعيش. فرغم كون اليهودية والإسلام ديانتين، فلا يمكن اختزال الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية في إطار العنصرية الدينية. فعلى سبيل المثال، لا يوجد خطابٌ موازٍ يزعم سيطرة المسلمين وسيادتهم على الموارد المالية الدولية كما في أسطورة "اليد الخفية" لليهود. ومن ناحية أخرى، فإن العديد من الأحزاب اليمينية المتطرفة لديها أجنادتٌ معادية للمسلمين؛ ولهذا فقد اعتبر هذا الموضوع مثيراً للجدل وقابلاً للتغيير؛ لأن التاريخ لديه القدرة عادةً على التأقلم والنقاش المفتوح لتحديد التشابه بين هاتين الظاهرتين وتقييم هذا التشابه.

## النص المترجم

### ◀ هل المسلمون هم اليهود الجدد؟

في يوليو 2008، خرج Shahid Malek<sup>(1)</sup>، أول وزير مسلم في الحكومة البريطانية، بتصريح في مقابلةٍ للقناة الرابعة ضمن برنامج Dispatches في إطار تخليد الذكرى الثالثة لانفجارات لندن التي وقعت في 7 يوليو 2005، قائلاً: "أعتقد أن أغلبية الشعب ستوافق على أنه إذا سألتهم اليوم المسلمين عما يشعرون به، فإنهم سيجيبون بأنهم يشعرون كأنهم يهود أوروبا". "لا أقصد مساواة ذلك بمحرقة اليهود النازية، ولكن بالطريقة ذاتها التي كان بها استهداف اليهود مشروعًا - وما زال في بعض الحالات - فالعديد من المسلمين يحسون بالشعور ذاته". لقد تحدّث كشخصٍ كان ضحية خطاب عنصريٍّ، حيث تعرضت سيارته للتفجير بعبوة ناسفة<sup>(2)</sup>.

نشرت صحيفة Daily Mail مقالًا لتصريحاته بعنوان: (نحن المسلمين "اليهود الجدد")<sup>(3)</sup>. وفي ما يبدو كردًّا مباشرًا، نشرت صحيفة Jewish Chronicle مقالة رأي الأسبوع الموالي بعنوان: (لا! المسلمون ليسوا "اليهود الجدد")، حيث سخرت Miriam Shahiv من الوزير قائلةً: "إلى السيد Malik... إن استغلال اليهود من أجل لعب دور الضحية... يدعو إلى السخرية إلى أقصى حدٍّ". فقد رفضت أيّ تلميحٍ إلى أن "المسلمين البريطانيين اليوم" يواجهون الاضطهاد الذي

(1) كان Shahid Malek آنذاك وزيرًا للتنمية الدولية ضمن التشكيلة الحكومية لحزب العمال برئاسة Gordon Brown. ولاحقًا، عُيّن وزيرًا للعدل، ووزيرًا للشؤون الداخلية، ووزيرًا مكلفًا بالأقليات الدينية والعرقية والتعايش.

(2) "Muslims "under siege like Jews"", BBC News, 4 July 2008:

<http://news.bbc.co.uk/1/hi/england/bradford/7489392.stm>

(تم تصفح المقال في 4 أغسطس 2014).

(3) "نحن المسلمين اليهود الجدد"، يقول Steve Doughty إن النائب البرلماني كان ضحية تفجير بواسطة عبوة ناسفة، صحيفة Daily Mail، 4 يوليو 2008. قبل سنتين، نشرت India Knight مقال "المسلمون هم اليهود الجدد" منشور بصحيفة Sunday Times (15 أكتوبر 2006): مذكور في تقديم الناشرين:

Ansari Humayun و Farid Hafez ، From the Far Right to the Mainstream: Islamophobia in Party Politics and the Media (Frankfurt: Campus Verlag 2012), 21.

قبل ذلك بعام، كتبت Yasmin Alibhai-Brown: "يهود أوروبا الجدد اليوم هم المسلمون" Why Muslims must 'remember the Holocaust', Independent, 23 يناير 2006.



تعرّض له "يهود أوروبا من طرف النازيين". وكتبت: "إنها مقارنة شاذة"<sup>(4)</sup>. ثم مضت Shahiv بالقول: "أصبحت التهمة مألوفة".

إنها على صوابٍ إذا كانت تقصد أن المأزق الذي يواجه المسلمون اليوم - في بريطانيا خاصةً، أو في الغرب عامةً - يمكن مقارنته بما عايشه اليهود سابقاً. يظهر هذا التقارب - في بعض الأحيان - مع اليهود المهاجرين من شرق أوروبا خلال ثلاثينيات القرن الماضي. ومن ناحية أخرى، يمكن اعتبار هذه المقارنة في محلّها، وتعليقات Shahid Malek خير دليلٍ على ذلك. ولعله من الواضح أن هناك آراءً مختلفةً في هذا الشأن من خلال عناوين الصحيفتين اللتين سبق ذكرهما. فالبعض يؤكّد التشابه، والبعض الآخر ينفيه.

إن هذا الخطاب ليس بالجديد وسط نقاشٍ عامٍّ يخيم عليه الطابع السياسي. إذ إن جزءاً من هذا الوضع السياسي مرتبطٌ بالنمو الديموغرافي الذي عرفته بريطانيا منذ الحرب العالمية الثانية. ويرجع ذلك - إلى حدٍّ كبير - إلى وفود مهاجرين من مستعمرات جنوب آسيا، مما أدى إلى زيادة ملحوظة في عدد السكان المسلمين. وهناك عامل آخر، هو المناخ الدولي المتغيّر خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وما تلاه من تصعيدٍ في الشرق الأوسط، والذي جعل العديد من الدول الغربية - ومنها بريطانيا - تدخل في نزاعاتٍ مباشرة مع دولٍ عديدة أغلبية سكانها مسلمون. وخلال الفترة نفسها، انعكست تداعيات الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي المستمر على البريطانيين، حيث تنامت مشاعر التعاطف بين المسلمين واليهود، كل على حدة. وفي ختام هذه الدراسة، سأعود - ولو بعجالة - إلى مناقشة الجانب السياسي.

إن الفكرة التي سأناقشها أضيّق بكثيرٍ من مجرد الادعاء بأن المسلمين اليوم هم اليهود الجدد'. إنها على حدّ تعبير المحلل السياسي الأسترالي Guy Rundle: "الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة"<sup>(5)</sup>. ستكون مناقشتي لهذا الادعاء مختصرةً، كما سأوضّح ذلك في حينه. فهذا الادعاء أكثر ضيقاً؛ لأنه يركّز فقط على عنصر التعصّب في معاملة المسلمين واليهود. وعملياً، عندما ندرس الحالات التي تكون فيها الأقليات العرقية أو الدينية في مجتمعٍ ما عرضةً

(4) Miriam Shahiv, 'No, Muslims are not "new Jews"', Jewish Chronicle, 11 July Miriam Shahiv, 'No, Muslims are not the new Jews', Jewish Chronicle, 11 July 2008, 31

(راجع أيضاً) Norman Lebrecht, 'No, Muslims are not the "new Jews"', Evening Standard, 6 February 2007.

(5) Guy Rundle, 'Rundle: what's with Galliano, Gibson 'n' Sheen's anti-Semitism?', Crikey (Online), 8 March 2011: [www.crikey.com.au/2011/03/08/rundle-whats-withgalliano-gibson-n-sheens-anti-semitism/?wpmp\\_switcher=mobile](http://www.crikey.com.au/2011/03/08/rundle-whats-withgalliano-gibson-n-sheens-anti-semitism/?wpmp_switcher=mobile).

لأشكال التعصّب، فليس من السهل دائماً التمييز بين أشكال العداء مثل: كراهية الأجانب، والقومية، ومناهضة الهجرة (بالنسبة إلى الوافدين الجدد)، وأشكال الكراهية العامّة الموجهة ضد الهوية العرقية أو الدينية. وعلاوة على ذلك، تتداخل هذه العوامل في الواقع، وغالباً ما تكون مرّبةً مما يؤثر في معاناة مجموعة معينة. ومع ذلك، لأغراض الدراسة، نحتاج إلى فصل هذه العوامل عن بعضها. تعتبر الإسلاموفوبيا عنصراً بارزاً في العداء ضد المسلمين، وفكرة كون الإسلاموفوبيا شكلاً جديداً لمعاداة السامية جزءاً لا يتجزأ من التوجّه الشائع بين الناس عندما يقولون إن المسلمين هم اليهود الجدد.

دعوني أولاً أوضح بعض المغالطات التي يمكن أن تثيرها اللغة التي نستخدمها. يوجد أدب غزير حول موضوع 'معاداة السامية الجديدة'. وثمة هذا الرأي المتعصّب تجاه إسرائيل أو الصهيونية، الذي هو شكل جديد لمعاداة السامية<sup>(6)</sup>. وبينما يؤكّد Rundle وآخرون أن "الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة"، فهم بالتأكيد لا يساوونها بشكلٍ آخر على الإطلاق، ولكن يؤكّدون وجود تكافؤ ما. يمكن تأويل الضمير "هي" في عبارة "الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة"، بـ "تعني" أو "تشبه بشدة"، مع تعويض "معاداة السامية الجديدة" بـ "معاداة السامية في الماضي". وبعبارة أخرى، لفكرة "الإسلاموفوبيا هي معاداة السامية الجديدة" هي أمر مبالغ فيه؛ إذ إن الإسلاموفوبيا اليوم تعني - أو تشبه بشدة - معاداة السامية في الماضي. وعلى العكس من ذلك، فإن فعل "ليس" في عبارة "الإسلاموفوبيا ليست بمعاداة السامية الجديدة" يعني حقاً "لا يشبه ولو قليلاً" معاداة السامية في الماضي. وينطبق المنطق ذاته على عبارة "المسلمون هم اليهود الجدد"، ونفيها "المسلمون ليسوا باليهود الجدد".

في الحقيقة، إن هذا الادعاء ثنائي الأبعاد: فمن جهة، مقارنة معاداة السامية في الماضي؛ ومن جهة ثانية، التأكيد بأن الإسلاموفوبيا قد حلّت محلّ معاداة السامية أو تجاوزتها في الوقت الحاضر. لتفنيد الرأي الثاني، نشر أحد المدونين على موقع Standpoint مقالاً مصحوباً بأرقامٍ عن تنامي الكراهية والعنف ضد الأقليات الدينية، ويبرز أن اليهود يتصدرون اللائحة ويليهام المسلمون، مؤكّداً انتشار شكلٍ جديدٍ لمعاداة السامية<sup>(7)</sup>. وهذا يعني أن معاداة

(6) Brian Klug, 'Interrogating "new anti-Semitism"', Ethnic and Racial Studies, vol. 36, no. 3, 2013, 468-82.

(7) Alexander Meleagrou-Hitchens, 'The new anti-Semitism?', 23 November 2010, blog available on the Standpoint website at <http://standpointmag.co.uk/node/3608> (online)



السامية لم تختفِ، بل أصبحت أكثر ضراوةً من قبل، ولم يحل محلّها أيُّ تعصّب موجّه ضد المسلمين (أو أي مجموعة أخرى). وفي معظم الأحيان، نشهد جدالاتٍ بين الطرفين غالبًا ما تأخذ وتيرة الاتهامات فيها مجرى غير مسبوق، محاولين تبرير العنصرية الموجّهة ضدّ فئتهم بالأرقام. لن أطيل كثيرًا في هذا الجانب؛ لأنه ليس من اختصاصاتي أن أكون حكمًا. قد تكون بيانات الاستقصاء والإحصائيات الاجتماعية غير موثوقة أو مضللة، والحقيقة التي تظهرها الأدلّة المتضاربة تشهد على ذلك<sup>(٨)</sup>. ولذلك يجب التدقيق في الأرقام، ووضعها في سياقها قبل تفسيرها. إن الادعاء بأن الإسلاموفوبيا قد حلّت محلّ معاداة السامية يستدعي اهتمامًا وحيزًا كبيرًا. لكن سأضع ذلك جنبًا، وسأكتفي بالوقوف على اهتمامي الأول: قياس أوجه التشابه.

هل الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية - سواء في الماضي أو في الحاضر - متشابهتان؟ إن للتشبيه عمومًا خاصيتين اثنتين:

**الأولى** يمكن بسطها بالقول إن أيّ شيء قد يشبه نظيره الآخر: كل ما عليك فعله هو تحديد القاسم أو القواسم المشتركة بين (أ) و(ب) لتحصل على أرضية مناسبة تؤكّد التشابه بينهما، رغم أن الجوانب الأخرى تختلف بين (أ) و(ب).

**والثانية:** لا يوجد تشابه تامّ؛ فإذا كان (أ) و(ب) متشابهين تمامًا من كل الجوانب، فهما إذن متطابقان لا متشابهان. ويبقى السؤال المطروح هو: ما هي حدود التشابه بين الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية؟ هل التشابه متين أم ضعيف؟ وكيف نثمن هذا التشابه؟

يشير Matti Bunzl إلى أنه "إذا أجرى شخصٌ مقارنةً - كما يفعل علماء الأنثروبولوجيا أو علماء الاجتماع أو المؤرخون - يمكن دائمًا - بالمعنى الأوسع - الوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف بين مجموعتين". ويضيف: "وغالبًا ما يكون الاختيار سياسيًا أو تحليليًا، سواء أردنا أن نقدّم أوجه التشابه أو الاختلاف"<sup>(٩)</sup>. هذه ملاحظة مفيدة، ولكنها تستدعي المزيد من التوضيح. إذ يمكننا اختيار

(٨) على سبيل المثال، قدّمت Miriam Shahiv نقلًا عن "شخصيات في الأمن عام ٢٠٠٦ أن "اليهود في بريطانيا اليوم هم أكثر عرضةً للعنف الجسدي أربع مراتٍ بسبب دينهم من المسلمين". "No, Muslims are not 'new Jews'", Shahiv. ومن جهة أخرى، تبرز الأرقام الصادرة عن Scotland Yard وشرطة لندن عام ٢٠٠٥ أن أغلب الأشخاص المسلمين معروضون لأن يكونوا "ضحية جريمة عنصرية" بمعدل اثنتي عشرة إلى ثلاث عشرة مرة، في حين أن المواطن اليهودي "معرض لثلاث مراتٍ على الأرجح لجريمة عنصرية" (Hugh Muir, 'Report reveals hierarchy of hate', Guardian, 7 March 2005).  
(٩) Sindre Bangstad and Matti Bunzl, "Anthropologists are talking" about Islamophobia and anti-Semitism in the new Europe', Ethnos, vol. 75, no. 2, 2010, 213-28 (215).

الأسس لمقارنة ظاهرتين (أ) و(ب)، وبعد ذلك يمكننا اصطفاء أوجه التشابه أو الاختلاف التي نودُّ تأكيدها أو إلغائها. تعكس هذه الاختيارات من الجانب السياسي الأجندة التي نرُوج لها. أما من الجانب التحليلي، فهي تعتمد على البحث الذي نجريه. ولكن في كلتا الحالتين، لا يمكننا تحديد ما إذا كانت لـ (أ) و(ب) قواسمٌ مشتركة معينة أم لا. وإذا تمكَّنَّا من القيام بذلك، فسيكون قياس أوجه التشابه من وجهة نظرٍ معينة، ولن يكون هناك مجالٌ للحجَّة المنطقية. لذا يتنبأ Bunzl - على سبيل المثال - بما يراه من اختلافاتٍ بين الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية؛ وذلك لأن اهتمامه يكْمُن في كيفية توظيف هذه الاختلافات، ويريد التأكيد على كون ما يراه فارقاً حاسماً هو: الفرق بين الدور التاريخي الذي لعبته معاداة السامية في حماية الدولة القومية العرقية، وبين الدور الحالي الذي تلعبه الإسلاموفوبيا في مشروع إنشاء أوروبا جديدة<sup>(10)</sup>. وسواء كان محققاً في هذا أم لا، فليس هذا هو المغزى (سأعود للخوض في أطروحته لاحقاً). لقد اختار Bunzl - في المقام الأول - دراسة أوجه التشابه من وجهة نظرٍ وظيفية دون الخوض في الوظائف الأخرى. وبطبيعة الحال، هو يدرك ذلك تماماً. ولهذا فقد تضمَّن كتابه ستة ردودٍ نقدية على أطروحته. ويبقى الجانب الوظيفي للإسلاموفوبيا ومعاداة السامية أحاديًّا لقياس التشابه<sup>(11)</sup>. وهو ما يحيلنا إلى تساؤلاتٍ أخرى: هل مفهوم الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية متشابهان من حيث المصادر والدوافع؟ هل لدهما تأثير مماثل في حياة اليهود والمسلمين؟ هل مستوى التعصُّب قابل للمقارنة؟ وهل جراً. يرتكز أسلوب القياس الذي سنعتمده - في المقام الأول - على السؤال الذي نطرحه.

هل الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية متشابهتان؟ لن نجد جواباً مباشراً لذلك. إن التساؤلات عديدة، ولن يسعني هذا المقال لدراستها، ولن أحاول حتى تناول معظمها. فهذه المقالة مساهمة بسيطة كنوعٍ من الدعاية الأوليَّة لشركة مالية: مقارنة الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية هي جزء من طرحٍ واسعٍ حول ما إذا كان المسلمون اليوم هم "اليهود الجدد" أم لا، بالنظر إلى حالة التعدُّدية العرقية في بريطانيا والمجتمعات الغربية الأخرى في الوقت الراهن.

إن اهتمامي الأساسي - بصفتي فيلسوفاً أكاديمياً - يرتكز على القضايا المنطقية أو المفهومية، على الرغم من أنه يستحيل التغاضي عن خبايا التاريخ. فهناك قضايا أخرى تحتاج للبحث

(10) Matti Bunzl, *Anti-Semitism and Islamophobia: Hatreds Old and New in Europe* (Chicago: Prickly Paradigm Press 2007).

(11) المرجع نفسه. حُررت الردود من طرف Dan Diner, Paul Silverstein, Adam Sutcliffe, Esther Benbassa, Susan Buck-Morss و Brian Klug (كاتب المقال).



من طرف مختصين، والتحليل الذي سأقدمه في القسمين التاليين هو جوهر هذا المقال. وسأستهل بمناقشة المصطلحين ومضامينهما من خلال مقارنة الشكل والمضمون. وأخيراً، سأعود مرغماً إلى مناقشة الجانب السياسي الشاسع، وأردُّ على أطروحة Bunzl.

## المصطلح والمفهوم:

يبدو للوهلة الأولى أن أيَّ مقارنة لأوجه التشابه بين الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية قد تفشل من الخطوة الأولى، بسبب المصطلحات ذاتها. يتمُّ إيلاء قدرٍ كبيرٍ من الاهتمام لهذه المصطلحات في كلِّ من النقاشات العامَّة والدراسات البحثية، كأن الكثير من الأمور معلَّقة حول هذا الأمر. ويشير المحللون إلى أن المصطلحين مرَّبان، وافترضاً بأن المصطلح هو مجموع أجزاء، فإنهم يقومون بجرد اختلافات المعنى عن طريق إضافة الأجزاء. فمصطلح معاداة السامية 'Antisemitism' هو نتاج إضافة البادئة 'anti' "معادية" قبل النعت 'semitism'<sup>(12)</sup> "السامية"، ومصطلح الإسلاموفوبيا 'Islamophobia' هو مجموع مفردتي 'Islam' (الإسلام) و'phobia' (رهاب). أما مصطلح 'Islam' فمرتبط بديانة، بينما مصطلح 'semitism' (في الوقت الذي ظهر فيه مصطلح 'Antisemitism') يعني "مجموعة من الصفات السلبية الموحدة المفترض ارتباطها باليهود"<sup>(13)</sup>. وإذا وضعنا المفردات السابقة في سياقها، فسنحصل على ما يبدو - في الحالة الأولى - على مناهضة مجموعة معينة (أو الصفات المنسوبة لها)، وفي الحالة الثانية على خوفٍ من دينٍ معيَّن. وليست الحالتان متشابهتين، ولكن بالكاد تختلفان.

ولكن هل هذا هو النهج الصحيح لفهم المصطلحات؟ يشير Salman Sayyid إلى هذا المسلك المسمَّى بالتأويل الأصولي للكلمة 'Etymological fundamentalism'<sup>(14)</sup>، أي إن معنى المصطلح - المفهوم الذي يدلُّ عليه - يتمُّ استنباطه من خلال أصوله الدلالية. ما يمكن تأويله بشكلٍ من أشكال التأويل النصِّي 'Literalism'. وعلى سبيل المثال، وفي إطار استخدام التشابه

(12) Richard S. Levy, 'Antisemitism, etymology of', in Richard S. Levy (ed.), *Antisemitism: A Historical Encyclopedia of Prejudice and Persecution*, 2 vols (Santa Barbara, CA: ABC-CLIO 2005), I, 24-5 (24).

يمكن اعتبار الكلمة مجموع بادئ 'anti' ولاحق 'ism' مضافين إلى مفردة 'Semite' (سام).  
(13) المرجع نفسه.

(14) Salman Sayyid, 'Out of the devil's dictionary', in Salman Sayyid and AbdoolKarim Vakil (eds), *Thinking Through Islamophobia: Global Perspectives* (London: Hurst 2010), 5-18 (13).

(الذي ليس تآمراً)، تخيلوا معي لو سألت شخصاً عن ماهية القلم؟ ويكون رده: القلم هو شيء رقيق مصنوع عادةً من المعدن أو البلاستيك، وطوله لا يتجاوز حوالي 15 سم. تماماً كما يختزل المؤول الأصولي للكلمة 'Etymological fundamentalist' الكلمة في الأجزاء المكونة لها، فإن مثل هذه الردّ يختزل القلم في صفاته المادية، وبالتالي فقد أخطأنا في شرح ماهية القلم.

إذن ما هو القلم؟ القلم هو أداة محدّدة للكتابة. لذلك فمن الضروري البحث عن الخصائص غير المادية للقلم واستيعاب استعمالاتها لفهم دلالاتها. وفي سياقٍ مماثلٍ، لإدراك مفهومي معاداة السامية والإسلاموفوبيا لا بدّ من النظر إلى مجالات استخداماتهما. يعلّق Wittgenstein: "بالنسبة إلى فئة كبيرة من الحالات - وإن لم يكن معظمها - التي نستخدم فيها مصطلح "المعنى"، يمكن إقرار التعريف التالي: مفهوم المصطلح هو استخدامه في اللغة"<sup>(15)</sup>. تندرج الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية ضمن هذه الفئة. إذ على الرغم من التباين في أصل المصطلحين وتركيبهما، فاستخداماتهما متشابهة.

هناك عدّة مغالطات قد تُفقد المصطلح دلالاته. لذلك - على سبيل المثال - صادفت مراراً وتكراراً الرأي الذي يقول إن معاداة السامية تستهدف كلاً من العرب واليهود كونهم شعباً "سامياً". ولكن إذا وضعنا جانباً غموض فئة 'السامي' (Semite)، فإن مصطلح معاداة السامية يخصّ اليهود في التداول. هذا هو معناه من خلال استعماله في اللغة. أما بالنسبة إلى الإسلاموفوبيا، فإن بعض الباحثين يفضلون استخدام مصطلح 'العنصرية تجاه المسلمين' (anti-Muslim racism)، بينما طالب البعض الآخر بـ 'معاداة الإسلام' (anti-Muslimism) أو 'رهاب المسلمين' (Muslimophobia)<sup>(16)</sup>. هناك نقاش مماثل لإيجاد بدائل أخرى لمصطلح 'antisemitis' مثل: "العنصرية تجاه اليهود" (anti-Jewish racism)، و"رهاب اليهودية" (anti-Judaophobia). وهذا ما يحيل إليه ردّ Wittgenstein على أحد مخاطبيه في سياقٍ مغاير وملائم: "قل ما تختاره طالما لا يمنعك ذلك من رؤية الحقائق"<sup>(17)</sup>.

(15) Ludwig Wittgenstein, *Philosophical Investigations* (Oxford: Blackwell 1958), 20.

(16) يشير Fred Halliday إلى أن "المصطلح الأكثر دقّة ليس هو "Islamophobia"، ولكن "anti-Muslimism".  
Fred Halliday, "Islamophobia" reconsidered, *Ethnic and Racial Studies*, vol. 22, no. 5, 1999, 892-902 (898).

راجع أيضاً كتابه الذي يقترح فيه مصطلح 'anti-Muslimism':

Islam and the Myth of Confrontation: Religion and Politics in the Middle East (London: I. B. Tauris 1996), ch. 6

(17) Wittgenstein, *Philosophical Investigations*, 37. وقد يكون الكاتب نفسه.



لقد أصبح مصطلح 'Islamophobia' قيد الاستخدام من أجل وصف الواقع كما وصفه كوفي عنان بحرقته: "عندما يُجبر العالم على صياغة مصطلح جديد مراعاةً للتعصب الأعمى المتزايد والواسع الانتشار، فهذا تطوُّر محزن ومقلق. وهذا هو الحال مع الإسلاموفوبيا"<sup>(١٨)</sup>. إن هذا النوع من التعصب هو ذاته ولو اتخذ مسمياتٍ أخرى. إذ يصبح المصطلح حيناً فور اتخاذه مكاناً في اللغة، وهذا هو القصد مع مصطلح "الإسلاموفوبيا" الذي فرض نفسه. فلا يمكن إجبار أحدٍ على استخدامه، ولكن فات الأوان على الأكاديميين لتجاوزه. وبدلاً من متابعة الحديث عن بدائل للمصطلح الذي ساستمر في استخدامه، فمن الأفضل الوقوف على المفهوم نفسه؛ لأن الفكرة قد وصلت<sup>(١٩)</sup>.

يقدم مفهوم معاداة السامية مثلاً جيداً على الطريقة التي يتطور بها المصطلح فور صياغته. فقد ظهر مصطلح 'Antisemitismus' في ألمانيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان الدافع من صياغته هو تمييزه عن الكراهية القديمة ضد اليهود المعروفة بالاسم المبتذل: 'Judenhass' (كره اليهود)<sup>(20)</sup>. وقد عكس المصطلح الجديد التوجُّه العالمي الذي عرفه تطوُّر العلوم الحديثة، وخاصةً "علم" الإثنوغرافيا، بالإضافة إلى الأفكار العنصرية التي كانت جوهر القومية الشعبوية 'völkisch nationalism' التي تصاعدت وأفضت عن ظهور الاشتراكية القومية خلال الفترة النازية. وارتبط مصطلح 'معاداة السامية' في بادئ الأمر بظاهرةٍ معينة جداً: تصوُّر بيولوجي للهوية اليهودية، وحركة سياسية متشبَّعة بأيدولوجية عرقية. وعلى الرغم من بعض محاولات الأوساط الأكاديمية حصر

(١٨) كلمة الأمين العام التي ألقاها في حلقة دراسية بمقر الأمم المتحدة: "مواجهة الإسلاموفوبيا: التعليم من أجل التسامح والتفاهم". يمكن الاطلاع على البيان الصحفي (٧ ديسمبر ٢٠٠٤) على موقع الأمم المتحدة:

[www.un.org/News/Press/docs/2004/sgsm9637.doc.htm](http://www.un.org/News/Press/docs/2004/sgsm9637.doc.htm)

المصطلح الفرنسي "Islamophobie" يعود تاريخه إلى عام ١٩١٨. راجع:

AbdoolKarim Vakil, 'Is the Islam in Islamophobia the same as the Islam in anti-Islam; or, when is it Islamophobia time?', in Sayyid and Vakil (eds), *Thinking Through Islamophobia*, 23-43 (38).

(١٩) كما هو الحال مع معاداة السامية، هناك جدل دائم حول ما يجب تقديمه للمفهوم وعلاقته بالمفاهيم القريبة، مثل كره الأجانب. ولكن الادعاء بأنه لا أساس له في الواقع غير صحيح. راجع:

Brian Klug, 'Islamophobia: a concept comes of age', *Ethnicities*, vol. 12, no. 5, 2012, 665-81.

(20) Ali Rattansi, *Racism: A Very Short Introduction* (Oxford: Oxford University Press 2007), 5.

Richard L. Rubinstein and John K. Roth, *Approaches to Auschwitz: The Holocaust and Its Legacy* (Atlanta: John Knox Press 1987), 28.

المصطلح بمعناه الأصلي الضيق، فإن المصطلح قد خرج للوجود. ويغطي اليوم مصطلح 'معاداة السامية' في استعمالاته اليومية مجالاً واسعاً من المواقف والسلوكيات المعادية لليهود، سواء كانت تستند إلى العنصرية البيولوجية أم لا. وعلاوة على ذلك، يتجاوز الآن مدى المصطلح القرون. فنحن نتحدث عن 'معاداة السامية' بين الأمس واليوم. وهكذا تمّ استخدامه، وهذا ما أصبح يعنيه. فلا أصل المصطلح ولا مصدره هما ما يحدّدان معناه، بل فقط استخدامه في اللغة هو ما يفعل.

### الشكل والمضمون:

ليس في صلب مفهوم معاداة السامية ارتباطٌ بـ "اليهودي"<sup>(٢١)</sup>. إذ تدلّ المعقوفتين في الأساس على صورةٍ من نسج الخيال والخرافة. فالصورة المرتبطة باليهودي نمطية؛ لأنها أحياناً لا تعكس الواقع. وبعبارة أخرى، كانت فكرة معاداة السامية في مراحل تكوينها الأولى استقرائيةً. ثم انتقل الاستدلال بـ "اليهودي القوي الثري" إلى استنتاجٍ عامٍّ، هو: كل "اليهود أقوياء وأثرياء"<sup>(٢٢)</sup>.

لنتأمّل في وضع Peter Rachman الذي ارتبط اسمه بـ "مالك الأحياء الفقيرة"<sup>(٢٣)</sup>. ففي الخمسينيات من القرن الماضي، سيطر Rachman على إمبراطورية عقارية أسّسها في منطقة نوتينغ هيل غرب لندن، حيث كان يتقاضى إيجاراتٍ عالية من مستأجرين من ذوي الدخل الضعيف. كان Rachman يهودياً. وقد كان على ما يبدو متعطشاً للمال، وعديم الضمير،

(٢١) جاء تحليلي لمعاداة السامية في هذه الفقرة نتيجة لمقالي التالية:

'The collective Jew: Israel and the new antisemitism', Patterns of Prejudice, vol. 37, no. 2, 2003, 117–38

(٢٢) وعلى غرار ذلك، فقد أكّد كلٌّ من Geoffrey Brahm Levey و Tariq Modood أن "ما نعاينه اليوم في معاملة المسلمين في الغرب، هو التحوّل من التعميمات الاستقرائية إلى التعميمات الاستنباطية عنهم". راجع مقال "الديمقراطية الليبرالية: المواطنة المتعدّدة والثقافات وقضية رسوم الكاريكاتير الدائمكية":

-Geoffrey Brahm Levey and Tariq Modood (eds), Secularism, Religion and Multicultural Citizenship (Cambridge: Cambridge University Press 2009), 216–42 (239)

راجع أيضاً:

-Nasar Meer, 'Semantics, scales and solidarities in the study of antisemitism and Islamophobia', Ethnic and Racial Studies, vol. 36, no. 3, 2013, 500–15 (503).

(٢٣) يحيل مصطلح 'Rachmanism' في معجم 'Oxford English Dictionary' إلى استغلال المستأجرين وترهيبهم من قبل ملاكٍ عديمي الضمير. وكانت أعمال راشمان سبباً في إصدار قانون الإيجار 'Rent Act' عام ١٩٦٥، الذي أعطى للمستأجرين ضمان الحياة.



وغامضًا، واستغلالياً: كلها سمات تعكس صورة "اليهودي". تكمن معاداة السامية في إسقاط هذا التمييز على اليهود، ولو كانت الصورة المرتبطة بالواقع صحيحةً أو كاذبةً.

وهو الحال ذاته مع الإسلاموفوبيا. فقد حدث التصادم نفسه بين الواقع والصورة النمطية في حادثة Woolwich عام 2013 عندما تعرض جندي بريطاني (Lee Rigby) لاعتداء قاتلٍ من طرف كلٍّ من "Michael Adebolajo" و"Michael Adebowale". فقد ذكرت صحيفة Daily Telegraph في مقالٍ لها أن الرجلين اللذين وصفا بـ "الإرهابيين الإسلاميين" حاولا قطع رأس الجندي واختراقه "كأنه قطعة لحم". وتحديث أحدهما 'حاملاً سكيناً وساطور لحم ويده ملطختان بالدماء' لشاهدٍ يصوره بهاتفه النقال مقسمًا: 'باسم الله العظيم، ومعلنًا: العين بالعين، والسن بالسن'. وفي أثناء الهجوم، "صرخ أحد المعتدين 'الله أكبر، بينما - وفقًا لشاهدٍ آخر - 'بدا وكأنهما يصليان على جثة الجندي كأنه "قربان"<sup>(24)</sup>. يمكن عمومًا نسخ هذه الأوصاف من دليلٍ للصور النمطية عن الإسلام: التخلف، والقسوة، والدموية، وهاجس الانتقام، والتطرف الديني، وغير ذلك. وهكذا لم يكن الجناة مسلمين فحسب، بل يعكسون الصورة النمطية عن 'المسلم' لدى الغرب. فقد قدموا أمام شهود عيان عرضًا مفصلاً لنصِّ مكتوبٍ عن صورة المسلم في 'الإسلاموفوبيا'. ولم يتوهم الشهود ما عاينوه؛ لأن الاعتداء قد وقع بالفعل. ومع ذلك، فهذه الصورة المجسدة في شوارع Woolwich عن "المسلم" غير حقيقية؛ لأنها ليست أقل إثارةً عن الصورة الموجهة ضد جميع المسلمين.

أحدثت عن صورة المسلم وصورة اليهودي معًا، وهذا قد يوحي أنه في صميم مفاهيم الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية توجد صورة نمطية محدّدة ومتناهية لا تتغيّر مع مرور الزمن. ولكن ليس هذا هو الواقع، ولا يجب أن يكون الأمر كذلك. إنه لأمر مثير أن تعتقد أنه إذا تغيّرت الصورة النمطية، فالمفهوم يتغيّر. ولكنه تصوّر مغلوط حول المفاهيم، وهي الصيغة التي تناولها Wittgenstein في عمله الأخير: The Blue Book.

يشير الأخير إلى وجود 'ميلٍ للبحث عن شيء مشتركٍ بين جميع الكيانات التي نصنفها عادةً تحت مصطلحٍ عامٍ'. ويشرح ذلك باستخدام مثال 'اللعبة':

(24) Gordon Rayner and Steven Swinford, 'Woolwich attack: terrorist proclaimed "an eye for an eye" after attack', Daily Telegraph, 22 May 2013.

'نحن نميل إلى الاعتقاد بضرورة وجود شيء مشترك بين جميع الألعاب، على سبيل المثال، وأن هذه المشترك مبرر لتخصيص المصطلح العام "لعبة" على الألعاب المتنوعة؛ بينما تشكّل الألعاب عائلة أفرادها لديهم روابط مشتركة مع العائلة'<sup>(25)</sup>.

يمكن قياس ذلك على مفهومي معاداة السامية والإسلاموفوبيا. وفي الحقيقة، هذا ما يقره أحد مؤلفي الكتاب الجماعي *Thinking Through Islamophobia* (التفكير من خلال الإسلاموفوبيا)، وهو مجموعة مقالاتٍ لثمانية وعشرين كاتبًا، قائلاً إن الهدف من هذا الكتاب هو التفكير في الإسلاموفوبيا "من خلال نظرية التشابه العائلي القائم على أوجه التشابه المترابطة"<sup>(26)</sup>.

وبالتالي، سأحاول دراسة المفهومين شكلاً ومضموناً. ففي حالة معاداة السامية، يمكن القول إن المفهوم يحدده شكل الصورة بحدّ ذاتها: 'لتكون يهودياً، يجب أن تتصف بالسمات (أ) و(ب) و(ج)'، كأن تلك السمات تشكّل كيان اليهودي أو ماهيته. ويصبح مضمون المفهوم هو مجموعة سماتٍ تجسّد نموذجاً محدداً وشكلاً معيناً " لليهودي". على سبيل المثال: متكبر، الملتزم بالقانون الأخلاقي، ماكر، متآمر، متعصب لقومه، بدون أصل، استغلالي، متعطّش للسلطة، جشع، وهلمّ جرّاً. إن هذا التجسيد قابلٌ للتغيير، ومفتوحٌ على سماتٍ أخرى، حيث تعطى في الغالب أولويات لسماتٍ خاصّة في معاداة السامية. ورغم اختلاف الحالات، فهناك تشابه لصيق يجمعهم تحت المفهوم نفسه. لذلك فصورة 'السامي' في 'معاداة السامية' هي نفسها 'يهودا' (Jude) في 'كره اليهود' (Judenhass) في صيغة معاصرة؛ وهو ما ساهم في توسّع نطاق 'معاداة السامية' ليحل محلّ المصطلح السابق 'Judenhass'، ويرتقي اليوم لكي لا يجعل فقط من الصفات الطبيعية الارتباط الوحيد باليهودية. وقد تخطّى استخدام المصطلح القرون، ولكن هذا لا يعني وجود ظاهرة أحادية غير قابلة للتغيير (على الرغم من أن بعض الناس يؤكّدون العكس). إن هذا يعكس فقط كيف تُكتسب المفاهيم عادةً: تعمل المفاهيم - وفق استعارة Wittgensteinian - مثل حبل طويل 'لا تكمن قوته في خيطٍ طويلٍ واحدٍ، بل في مجموعة خيوطٍ متداخلة'<sup>(27)</sup>. إن إدراج مجموعةٍ من السمات المتداخلة والمتعارف عليها

(25) Ludwig Wittgenstein, *The Blue and Brown Books: Preliminary Studies for the 'Philosophical Investigations'* (Oxford: Blackwell 1969), 17.

(26) Salman Sayyid, "Thinking through Islamophobia", in Sayyid and Vakil (eds), *Thinking Through Islamophobia*, 1-4 (2).

(27) Wittgenstein, *Philosophical Investigations*, 32.



في أتمودج "لتكون يهوديًّا، يجب أن تتصف بالسّمات (أ) و(ب) و(ج)" هو ما يشكّل صورة 'اليهودي' (٢٨).

تنطبق التغيرات الضرورية نفسها على الإسلاموفوبيا، ونقطة التشابه هذه بين الظاهرتين هي الأقوى؛ إذ يتقاسمان المنطق نفسه. ومن المثير للاهتمام في دراسة Simon Weaver للمواقع الإلكترونية التي تتخذ من اليهود والمسلمين مادةً للكوميديا السوداء، هو تأكّيده أن "المنطق الذي تستند إليه العنصرية هو نفسه" في كلتا الحالتين<sup>(29)</sup>. إذ يبرز Weaver - تبعًا لأعمال Michel Wieviorka - أن هناك 'منطقًا مزدوجًا' لهذه العنصرية: إمّا أن تستبعد الآخر من المجتمع تمامًا، وإمّا أن تجعل الآخر في الحضيض<sup>(٣٠)</sup>. وهذا ما يجعل مفهوم الآخر أساسيًا للتوجّه الذي تقوم عليها العنصرية، ويعني ضمنيًا أن الآخر هو الفئة العامّة التي يمكن إدراج شخصيتي "اليهودي" و"المسلم" ضمنها. والآن يمكن إعطاء فئة الآخر الصيغة التالية: 'لتكون الشخص (X)، يجب أن تتصف بالسّمات (أ) و(ب) و(ج)؛ حيث تميز لائحة السّمات الآخر عن الدخيل. وهكذا، عندما نقوم بجرد خطّة للمفاهيم، يمكن إدراك أن 'اليهودي' و'المسلم' يشتركان في المنطق الذي يستند إليه الآخر؛ فهما يتقاسمان النموذج نفسه ويشتركان في المنطق العام ذاته.

غير أن المنطق المحدد لمعاداة السامية والإسلاموفوبيا يحدّده مضمون المفهومين. وهذا يعني - في كل حالة - أن هناك خطاب كراهية معيّنًا، ويتشكّل هذا الخطاب من خلال السّمات الخاصّة التي تمثّل شخصيتي "اليهودي" و"المسلم"، على التوالي. وهنا تصبح المقارنة معقّدة. وسأتحدث أولًا عن أوجه التشابه، وبعد ذلك عن الاختلافات.

نظرًا لأن كليهما من أشكال الأخرية (Othering)، فليس من المدهش أن يكون لكلّ من 'المسلم' و'اليهودي' سماتٌ معينة مشتركة: السّمات التي يتشاركونها مع آخرين آخر (other Others). ولكن علاوة على ذلك، تتقاسم اليهودية والإسلام مصيرًا مماثلًا في بعض النواحي.

(٢٨) هذا تبسيط مبالغ فيه؛ لأن شخصية "اليهودي" ليست مجموعة صفات، بل هي نتيجة توظيف هذه الصفات معًا. ولذا فهو حكم متسرّع، ولكنه يكفي الغرض الحالي.

(29) Simon Weaver, 'A rhetorical discourse analysis of online anti-Muslim and anti-Semitic jokes', *Ethnic and Racial Studies*, vol. 36, no. 3, 2013, 483-99 (483).

ومن جهة أخرى، فقد كشف أن "الصور السلبية وعمليات الإقصاء عن المسلمين واليهود ليست نفسها في النكت" (485). (٣٠) المرجع نفسه.

أولاً: كلاهما على علاقة مضطربة بالمسيحية. ثانيًا: نزلاً معاً من أجل التنوير. ثالثاً: كلاهما جزء من تاريخ ما يسميه Edward Said بـ "الاستشراق"<sup>(31)</sup>. وتتداخل هذه الجوانب الثلاثة فيما بينها، مبرزَةً أوجه التقارب بين معاداة السامية والإسلاموفوبيا، وسأعلق عليها بإيجاز.

رغم كون اليهودية والاسلام ديانتين، فلا يمكن اختزال الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية في إطار العنصرية الدينية<sup>(32)</sup>. كما أن المسلمين واليهود المتدينين ليسوا المعرضين فقط لهاتين الظاهرتين. وبالعودة إلى التغطية الصحفية لهجوم Woolwich، يتضح أن الدين أساساً يغذي الميول العنصرية. إذ تُعدُّ عبارة 'العين بالعين، والسن بالسن' التي ذكرها أحد المعتدين جزءاً من الاعتقاد الديني: سفر الخروج (5-23:21)، والقرآن الكريم (سورة المائدة، آية 45). أما في كتاب الموعدة على الجبل، فيشير المسيح بتناقضٍ إلى المقطع نفسه: "لا تقاوموا الشرَّ، بل مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً" (متى 5: 38-9). من خلال هذا الحديث، تطورت على مرّ القرون جدالاتٌ ثنائية متواصلة في المسيحية، حيث تتبنّى المسيحية الجانب الملائكيّ (المحب، المنضبط، المتسامح)، وتشغل اليهودية والإسلام الجانب الآخر (الملتزم بالقانون الأخلاقي، المنتقم، عديم الرحمة). تتغيّر جزئياً هذه الثنائيات بين نحن 'الغربي' أو 'البريطاني' والآخر عبر عدّة وسائط. إحدى الوقائع المعروفة هي الجدل حول 'شعيرة النحر' التي تستهدف كلاً من اليهود والمسلمين في إطار رعاية الحيوان. لقد أشرت سابقاً إلى بعض العبارات والصور الواردة في مقالة لـ Daily Telegraph (الهمجية، والذبح بأيدي "ملطخة بالدماء"، ووصف الضحية "بالقربان")، والتي تعتبر أموراً شائعة خلال الحملات الدعائية الدورية في هذا الصدد، والتي تزيد من حدّة الجدل ضد ممارسات المسلمين واليهود<sup>(33)</sup>.

لقد تمكّن عصر الأنوار - إلى حدّ كبير - من إدماج وعلمنة الخطاب السلبي المهيمن عن الإسلام واليهودية المتوارث عن المسيحية ذاتها، والتي رأت نفسها آيلةً للسقوط. إذ كان ينظر إلى الديانات كنفيسٍ لمشروع التنوير: المشروع الذي شجّع المنطق على العقلانية، والعلم

(31) Edward W. Said, Orientalism (New York: Vintage Books 1979).

(32) عارضت في مرجعٍ سابقٍ فكرة أن اليهودية يمكن تلخيصها بشكلٍ كافٍ بوصفها ديناً. ولكن لن أعود لذلك. راجع: Brian Klug, Offence: The Jewish Case (London: Seagull Books 2009), 5-27. But let that pass

(33) 'Brian Klug, Ritual murmur: the undercurrent of protest against religious slaughter of animals in Britain in the 1980s. Patterns of Prejudice, vol. 23, no. 2, 1989, 16-28. (راجع أيضاً) Tony Kushner, Stunning intolerance: opposition to religious slaughter in Twentieth-century Britain Jewish Quarterly, no. 133, 1989, 16-20.



على الخرافات، والحرية على الطغيان، وما إلى ذلك<sup>(٣٤)</sup>. وعلى هذا النحو، ليس فقط الإسلام من ارتبط وجوده بالمشرق من طرف مفكّري عصر الأنوار، بل كان يُنظر إلى اليهودية - على نطاقٍ واسعٍ - على أنها ديانة غريبة على الغرب، واعتُبر اليهود مستشرقين: 'آسيوبي أوروبا' (the Asiatics of Europe) على حدّ تعبير<sup>(٣٥)</sup> Herder. يتطرق Sander Gilman إلى أن 'الصورة المعيارية لليهودي القرن التاسع عشر كانت تتمثّل في اليهودي المالطي، مرتدياً عمامته الشرقية'<sup>(٣٦)</sup>. أما بالنسبة إلى Edward Said، فالروابط وثيقة جداً إلى حدّ أنه ذهب في مقدمة كتابه الاستشراق إلى حدّ القول: 'وجدت نفسي أكتب عن تاريخٍ مشترك، غريبٍ وغامض، لمعاداة السامية في الغرب'<sup>(٣٧)</sup>.

ومع ذلك، هناك حدٌّ للمشترك. فبحسب تعبير Matti Bunzl، فإن هناك عدّة محلّلين - ممّن يؤكّدون أوجه التشابه بين الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية - يعترفون بوجود حدّ لهذا التشابه. إذ يشير Thomas Linehan إلى 'تشابهاتٍ ملموسة ومهمّة في مضمون معاداة السامية سابقاً، ومضمون الإسلاموفوبيا لاحقاً'. ويعتقد أن هذه التشبيهات تلقي الضوء على طبيعة هذا الأخير. لكنه يقرّ أن 'هناك بعض النقاط المهمّة للاختلاف'<sup>(٣٨)</sup>. فأولاً: بينما هناك صورة نمطية لمعادي السامية عن اليهودي العنيد، متجدّرة مند القدم، هناك أيضاً - من باب المفارقة - صورة لليهودي بدون أصل، باعتباره يمثّل النزعة المادية الحديثة التي تهدّد القيم

(٣٤) كشفت عن هذا الموضوع في محاضرة لي بعنوان: "التعامل مع الاختلاف: اليهود والمسلمون واليسار البريطاني اليوم".  
The European Leo Baeck Lecture Series, London , ١٦ May ٢٠١٣م يتم نشر مضمونها، ولكن يمكن الاستماع للتسجيل على الرابط التالي:

German Historical Institute website [www.ghil.ac.uk/download/podcast/2013-05-16\\_Klug.mp3](http://www.ghil.ac.uk/download/podcast/2013-05-16_Klug.mp3)

(35) Johann Gottfried Herder, quoted in Ivan Davidson Kalmar and Derek J. Penslar, 'Orientalism and the Jews: an introduction', in Ivan Davidson Kalmar and Derek J. Penslar (eds), *Orientalism and the Jews* (Waltham, MA: Brandeis University Press 2005), xiii-xl (xiv).

Herder (١٧٤٤-١٨٠٣): من رموز عصر الأنوار والعصر الرومانسي. يشير كلٌّ من Kalmar و Penslar إلى أن "تصوير المستشرقين لليهود كان شائعاً في أواخر القرن الثامن عشر" (السادس عشر)، وتواصل في القرنين التاسع عشر والعشرين.

(36) Sander L. Gilman, 'Can the experience of diaspora Judaism serve as a model for Islam in today's multicultural Europe?', in Sander L. Gilman, *Multiculturalism and the Jews* (London and New York: Routledge 2006), 1-22 (8).

(٣٧) هناك أدب غزير عن أطروحة إدوارد سعيد العامة حول الاستشراق، وكذلك موقفه الخاص من معاداة السامية.

(38) Thomas Linehan, 'Comparing antisemitism, Islamophobia, and asylophobia: the British case', *Studies in Ethnicity and Nationalism*, vol. 12, no. 2, 2012, 366-86 (380).

التقليدية وطرق العيش<sup>(٣٩)</sup>. لا يوجد نظير لهذا في صورة 'المسلم'. وثانيًا: على عكس صورة اليهودي الجشع في معاداة السامية، فإن المسلم - حسب Linehan - ليس مرتبطًا بالرأسمالية في خطاب الإسلاموفوبيا. ويضيف: 'لا يوجد خطابٌ موازٍ يزعم سيطرة المسلمين وسيادتهم على الموارد المالية الدولية كما في أسطورة "اليد الخفية" لليهود'<sup>(٤٠)</sup>. وهذا يصل بنا إلى نقطة الاختلاف الثالثة؛ لأن لـ "اليد الخفية لليهودي" نطاقًا أوسع، فلا تتحكّم في البنوك والأسواق فقط، ولكن أيضًا في دهايز السلطة السياسية. ومن جهة ثانية، أكّد Nasar Meer و Tehseen Noorani أنه 'يبدو أن إحدى الميزات المتجدّدة لمعاداة السامية [هي] الطريقة التي يتمُّ بها تخيُّل الأقليات اليهودية مضطّعة بقوة خفية تتعارض مع الطريقة التي يتمُّ بها تمثيل المسلمين حاليًا'<sup>(٤١)</sup>.

ومع ذلك، فإن العديد من المحللين يقارنون بين بروتوكولات حكماء صهيون المعادية للسامية و'نظرية' أورابيا (Eurabia) المعادية للمسلمين التي تعتبرهم - على حدّ قول Matthew Carr - 'عملاء لبرنامجٍ تآمريٍّ للهيمنة على العالم'<sup>(٤٢)</sup>. سنزيح الستار عن ليالي ألف ليلة وليلة الساحرة لندخل حلبة كابوس أورو-عربي مخيف، حيث استسلمت 'أوروبا مازوشية على وشك الانهيار' لـ 'هيمنة إسلامية ثقافية ودينية'<sup>(٤٣)</sup>. يذكّرنا هذا السيناريو بصورة ألمانيا في كتاب Der Sieg des Judenthums über Germanenthum (انتصار اليهود على الجرمانية) المنشور عام 1879، والذي وضع فيه Wilhelm Marr الأسس لعصبة معادي السامية<sup>(٤٤)</sup>. ولكن يمكن الجزم أن 'اليد الخفية' للبروتوكولات غائبةٌ في أورابيا (Eurabia)، حيث تبدو 'أسلمة' أوروبا أكثر وضوحًا للعين المجردة. وهنا أيضًا تعتقد Martha Nussbaum أن 'جزءًا من الصورة

(٣٩) لقد زينتُ قليلًا ما قدّمه Linehan.

(40) Linehan, 'Comparing antisemitism, Islamophobia, and asylophobia', 380.

(41) Nasar Meer and Tehseen Noorani, 'A sociological comparison of anti-Semitism and anti-Muslim sentiment in Britain', Sociological Review, vol. 56, no. 2, 2008, 195–219 (209).

تتميز المقالة بنهجها المدروس والدقيق، حيث تلفت الانتباه لأوجه التشابه والاختلاف البارزة.

(42) Matthew Carr, 'The Moriscos: a lesson from history?', Arches Quarterly, vol. 4, no. 8, 2011, 10–17 (14).

(٤٣) المرجع نفسه.

(٤٤) راجع مقتطفات في:

Paul Mendes-Flohr and Jehuda Reinharz (eds), The Jew in the Modern World: A Documentary History (Oxford: Oxford University Press 1995), 331–3.



النمطية (كما في حالة اليهود في البروتوكولات) هي كون العدو سيد التنكّر<sup>(45)</sup>. وتدلي بتلميحٍ لردّ الفعل الشعبي تجاه النساء المسلمات المحجبات: 'إن التركيز المهووس على إزالة الحجاب يتبع تقليدًا طويلًا... من نسج الخيال حول وجود مؤامرة سرّية خفيّة ستظهر لقتلنا عندما يحين الوقت'<sup>(46)</sup>. وهو ما يدعو إلى الاعتقاد بأن 'الوجه الخفي' الإسلامي هو 'اليد الخفيّة' اليهودية.

ولكن هل هذا الرأي صائب؟ أم أن التشابه سطحيّ؟ هناك حاجة ماسّة لبحثٍ مفصلٍ عن الدلالات المخفيّة كما هو الحال في الاتهامات الموجهة ضد المسلمين واليهود من خلال 'شعيرة النحر'. فإلى أي مدى قد تصل التشبيهات؟ في حالة اليهودي، هناك أصداء من العصور الوسطى عن 'فرية الدم' (blood libel) غير الموجودة في حالة المسلم. وهو ما يعيدنا في نهاية المطاف إلى صورة المسيحي عن اليهود كقتلة للمسيح، مخلّفًا كل أيدي اليهود ملطّخة بالدماء. ولا يوجد مثل هذا الرأي عن المسلمين في المسيحية. وعلى نحوٍ مماثل، على الرغم من أوجه التشابه، فإن تناول اليهودية والإسلام في عصري الأنوار والاستشراق أبعد ما يكون عن التطابق. فكيف تؤثر الاختلافات في السمات الخاصّة لـ "المسلم" و"اليهودي"؟ هذه الأسئلة - ومجموعة أخرى - تتطلّب المزيد من التحليل والبحث.

إذن، هل مفهوما معاداة السامية والإسلاموفوبيا متشابهان؟ لا يوجد جوابٌ مباشر، ولكن الإجابة البسيطة هي: نعم ولا<sup>(47)</sup>.

## ◀ استخدامات التشابه:

لن يكون لهذا الأمر أهميّة جليّة دون إغفال الجانب السياسي الذي يجعل هذا التشابه قائمًا أو ينفيه، وهو ما أشرت إليه للتو في الأسئلة السابقة. ستكون الدراسة موضوع هذا المقال باطلّة إذا لم تساهم في تنوير الرأي العام اليوم. ويصحّ الشيء نفسه على باقي الأعمال الأخرى في هذا المجال. فنحن بحاجة إلى معرفة كيف لأوجه التشابه بين الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية - سابقًا وحاليًا - أن تلقي الضوء على الصراعات والاختلافات في العصر الحالي. ومن

(45) Martha C. Nussbaum, *The New Religious Intolerance: Overcoming the Politics of Fear in an Anxious Age* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press 2012), 237.

(46) المرجع نفسه.

(47) لقد أُجريت العديد من الدراسات والأبحاث في هذا الميدان، لكنها متفاوتة ومتفرقة.

هذا المنطلق، كتب Matti Bunzl مقالاً مميزاً ومثيراً للاهتمام بعنوان: 'الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية'، الذي أشرت إليه في المقدمة، والذي سأقف عنده.

يعترف Bunzl بوجود 'بعض الشرعية' في المقارنة بين معاداة السامية والإسلاموفوبيا<sup>(48)</sup>. ولكن بالنظر إلى هاتين الظاهرتين من حيث وظيفتهما في الصورة السياسية الرائجة، فهو يعتقد أن 'التشكيك في التشبيه الأساسي... مزلل'<sup>(49)</sup>. كما يرى أنه 'بينما تمّ اعتماد معاداة السامية للحفاظ على نقاء أصل الدولة القومية، فإن الإسلاموفوبيا سُخرت لحماية مستقبل الحضارة الأوروبية'<sup>(50)</sup>. ومن ناحية أخرى، على حدّ قوله، تغيّر وضع اليهود في أوروبا بشكلٍ جذريٍّ منذ عام 1945 بسبب ظهور مشروعٍ سياسيٍّ أوروبيٍّ بعد الحرب العالمية الثانية وأهوال المحرقة النازية: 'لم يعد اليهود مرتبطين بـ 'الآخر' الأساسي، ولكن أصبحوا نموذجًا حقيقيًا مجسدًا لنظام ما بعد القومية'<sup>(51)</sup>. وفي الوقت نفسه، يجزم أن اليمين المتطرف لم يعد يستهدف اليهود فقط، بل المسلمين أيضًا. وعلى أية حال، فإن الأحزاب اليمينية المتطرفة تحاول تجنيد اليهود ضد المسلمين، ولا تحرز إلا نجاحًا محدودًا<sup>(52)</sup>. وبشكلٍ موجز: 'بينما معاداة السامية التقليدية قد سلكت مسارًا تاريخيًا يطمس الدولة القومية، فإن الإسلاموفوبيا برزت بسرعة كطرفٍ محدد لأوروبا الجديدة'<sup>(53)</sup>.

والغريب في الأمر أن Bunzl كان يمكن أن يعبر عن الأطروحة نفسها من خلال الدفاع عن 'تشابه أساسي'، وهذه هي مرونة القياس. إليك الأمر، إذا كانت معاداة السامية مشروعًا للدولة القومية العرقية، فإن الإسلاموفوبيا هي مشروع لأوروبا ما بعد القومية. فهما يؤديان وظيفة مماثلة: كل منهما يتخذ صفة 'الآخر' في المشروع السياسي السائد آنذاك. وعلى المنوال نفسه، عندما طرح Bunzl السؤال: 'هل المسلمون هم يهود أوروبا؟'، كان يمكن له الإجابة بـ 'نعم'، لسببٍ وجيزٍ، هو أنهم يمثلون 'الآخر' اليوم، ولكنه أجاب بـ 'لا'؛ لأن المسلمين ليسوا 'على وشك التعرض لشيء مشابه لمحرقة ثانية'<sup>(54)</sup>. يختار Bunzl نفي 'التشابه الأساسي'؛ لأنه يريد التأكيد على ما يراه تغييرًا جوهريًا

(48) Bunzl, Anti-Semitism and Islamophobia, 45.

(49) المرجع نفسه، ص ١٤.

(50) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(51) المرجع نفسه، ص ١٤.

(52) المرجع نفسه، ص ٣٧-٤٣.

(53) المرجع نفسه، ص ٤.

(54) Bangstad and Bunzl, "Anthropologists are talking" about Islamophobia and anti-Semitism in the new Europe, 214-15.



في الصورة السياسية الشاسعة: التحول من الدولة العرقية النقيّة إلى فكرة ما بعد القومية الأوروبية الموحّدة. وعلى الرغم من وجهة نظره، فلديّ موقف إزاء قياس أوجه التشابه، ليس لأنني أرى 'محرقة ثانية' في الأفق؛ ولكن لأنني لست مقتنعًا بأن الصورة الرائجة قد تغيّرت بشكلٍ جذريّ.

هناك دافعان أساسيان لتحفظاتي. أولاً: أنه حتى في ذروة القومية العرقية، فقد ظهرت صورة خفيّة عن أوروبا متفوّقة حضاريًا، وبرزت في شكل خطابٍ معادٍ للسامية. تأمل هذه الملاحظة: 'فقط عندما يلحُ شخصٌ على انتحال شخصية الأوروبي ويعامل كأوروبي، يدرك المرء أنه مخلوقٌ مكروه ومنبوذ في بلدٍ أوروبيٍّ ومجتمعٍ أوروبيٍّ'. هذا ليس خطابًا إسلاموفوبيًا حديثًا ضد المسلمين، ولكن المتحدث هو Joseph Banister في كتابٍ ألفه عام 1901 بعنوان: *England under the Jews* (إنجلترا تحت حكم اليهود)<sup>(55)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك، ظهرت تحت مظلة القوميات المتعدّدة التي قسمت أوروبا عنصريةً واسعة: بالنسبة إلى جزء كبير منها، كانت العرقيات المتنوّعة تشكّل درجاتٍ مختلفةً لذوي البشرة البيضاء، حيث كان اللون الأبيض يميز أوروبا عن اللون الداكن لآسيا، والأسود لإفريقيا، وما إلى ذلك. يوضّح المقطع نفسه لـ Banister هذه النقطة: 'قد تجامله أجهزة الإعلام عبر تمثيله على أنه يمتلك كل الصفات الأخلاقية والفكرية للأوروبي، ولكن مع ذلك فهو آسيوي وفقًا لجميع العادات، والمبادئ، والأحكام المسبقة، والأفكار، والأخلاق الآسيوية'<sup>(56)</sup>. كان Banister من معادي السامية في العصر الإدواردي.

ولكن هذه الجملة - جزؤها الثاني على الأقل - قد تعكس اليوم حديثًا إسلاموفوبيًا. فمن الممكن اعتبار 'أورابيا' (Eurabia) مثل 'أوراسيا' (Eurasia). لذلك في كلتا الحالتين وخلال فتراتٍ مماثلة، طغى خطاب حضاريّ ذو طابع عنصريّ أيضًا<sup>(57)</sup>.

(55) Joseph Banister, quoted in Bernard Harris, 'Anti-alienism, health and social reform in late Victorian and Edwardian Britain', *Patterns of Prejudice*, vol. 31, no. 4, 1997, 3-34 (6).

(56) نقلًا عن Bernard Harris. يبدأ المقطع: "على الرغم من عدم امتلاكه لشجاعة بعض الأعراف الآسيوية، ولامادية الآخرين، وحب نظافة الآخرين؛ فإن [اليهودي] عينة عادلة لـ 'ماركة الآسيوي'. وبعبارة أخرى، فإن اليهودي جبان، وماديّ، وقدر (صفات معاداة السامية الكلاسيكية)، وبالتالي فهو "عينة" سيئة لهذه 'الماركة'. ولكن هناك 'ماركة': هوية عرقية واسعة يسميها "آسيوي".

(57) للاطلاع على موضوع الإسلاموفوبيا كتمييز المسلمين، راجع: Nasar Meer و Tariq Modood

'The racialisation of Muslims', in Sayyid and Vakil (eds), *Thinking Through Islamophobia*, 69-83.

راجع أيضًا:

Nasar Meer and Tariq Modood, 'Refutations of racism in the "Muslim question"', *Patterns of Prejudice*, vol. 43, no. 3-4, 2009, 335-54.

ثانيًا: إن 'نظام ما بعد القومية' لم يَرَ النور بعدُ. إلا أنه يبقى فكرةً نبيلةً، وعملاً قيد التنفيذ، ومداه طويل قبل أن يتحقَّق، إذا حدث ذلك. وعلى الرغم من أن الواصلة التي كانت تربط 'الأمّة' (nation) بـ 'الدولة' (state) قد تتلاشى، فإن أوروبا لا تزال مجموعةً من الأمم والدول. وبينما يتفوق الآن المفهوم المدني للأمّة على المفهوم العرقي، فإن الدولة الليبرالية 'المحايدة' تصدر قوانينها بلهجةً وطنيةً واضحة. أنا لا أقصد مثلًا الطريقة التي تُفَعَّل بها العلمانية في فرنسا. ومع ذلك، فإن الأمر يستحقُّ أن نستشهد برّد Paul Silverstein على فرضية Bunzel حول مكانة الأمّة اليوم:

من خلال تجاربهم المرتبطة بالتمييز النظامي، لا يواجه المسلمون الفرنسيين رجالًا ونساءً - على حدِّ قول Bunzel - الأمّة كما لو كانوا مستبعدين. إنهم يشعرون تحديداً بالإقصاء في دولة يحملون جنسيتها، ولكن قوانينها الأخيرة... تؤذيهم بشكلٍ غير مناسبٍ<sup>(58)</sup>.

إنه أمر مماثل في معظم أنحاء أوروبا. هذا جزء مما أشار إليه Shahid Malik عندما تحدّثَ عمّا يشعر به الكثير من المسلمين اليوم. وباختصار، إن أوروبا القديمة تبدو أكثر كأوروبا الجديدة، وأوروبا الجديدة تشبه القديمة، على عكس رأي Bunzel. لقد تغيّرت الصورة السياسية الواسعة، لكن ربما لم تتغيّر كما رأى ذلك. وهو ما يحيلني إلى سؤال ما إذا كانت هناك "مقارنة أساسية" بين أسلوب توظيف الإسلاموفوبيا اليوم وأسلوب توظيف معاداة السامية في الأمس؟ في الأساس، كلما تقلّصت الفجوة بين أوروبا القديمة والجديدة، ازدادت حدّة التشابه، وباتت أكثر ملاءمةً. ومن وجهة نظري، فإن الجزم بذلك أكثر منفعةً من عدمه<sup>(59)</sup>. إن النقاش يستمر لتحديد التشابه بين هاتين الظاهرتين وتقييم هذا التشابه.

(58) Paul Silverstein, 'Comment on Bunzl', in Bunzl, *Anti-Semitism and Islamophobia*, 61-8 (63-4).

(59) في دراسة غير منشورة، يرفض David Cesarani أطروحة Bunzl. ومع ذلك، فإن مواقفه تختلف عن مواقفي. وهذا بيت القصيد: ففي رأيه أن المقارنة بين معاداة السامية والإسلاموفوبيا "ليست فقط غير مناسبة"، ولكنها "خطيرة بشكلٍ إيجابي" (مقتبسة بإذن من المؤلف). راجع:

David Cesarani, 'Are Muslims the new Jews? Comparing Islamophobia and anti-semitism in Britain and Europe', 2008, في الأصل ورقة مناقشة لمعهد Yale Institute for the Interdisciplinary Study of Antisemitism (منذ إغلاقه)، ومتاحة الآن في معهد Institute for the Study of Global Antisemitism and Policy على الرابط:

(تمّ تصفحه في 11 أغسطس 2014) [www.isgap.org/wp-content/uploads/2011/10/cesarani-paper.doc](http://www.isgap.org/wp-content/uploads/2011/10/cesarani-paper.doc)

راجع أيضًا:

David Cesarani, 'Why Muslims are not the new Jews', *Jewish Chronicle*, 22 October 2009, and his 'Muslims the "new Jews"? Not by a long way', *Jewish Chronicle*, 17 January 2008.

هذا الأخير جزء من ردِّ على مقال Maleiha Malik المذكور في الحاشية التالية.



'ما قيمة هذا التشابه؟'. هل يستحقُّ تأكيدُه أم إنكارُه؟ تكُمّن قيمة التشابه في تسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية الحالية. وفي إشارةٍ إلى نهاية القرن العشرين، كتبت Maleiha Malik: 'على الرغم من الاختلافات المهمّة، فإن معاملة اليهود البريطانيين توفّر أفضليةً جيدةً للعنصرية المعاصرة تجاه المسلمين'<sup>(60)</sup>. وإجمالاً، أوافق هذا الرأي<sup>(61)</sup>.

وختاماً، بينما يوضّح Bunzl بشكلٍ مقنعٍ أن اليهود في الاتحاد الأوروبي قد انتقلوا من كونهم 'الآخر الرئيس' إلى كونهم 'التجسيد الحقيقي' لفكرة ما بعد القومية، فلستُ واثقاً جداً بشأن ذلك مستقبلاً. فمن ناحية - مثلما أشار - فإن العديد من الأحزاب اليمينية المتطرّفة تخذع اليهود بأجندتها المعادية للمسلمين؛ ولهذا السبب تخلّت عن معاداة السامية باعتبارها موضوعاً مثيراً للجدل<sup>(62)</sup>. وفي غضون ذلك، أخذت اليهودية حيزاً جديداً في أوروبا عبر إدراج مصطلح 'اليهودي-المسيحي' (Judeo-Christian)، وهو مصطلح نمطيّ مبتذل لا يشمل الإسلام بحكم تعريفه. ومن ناحية أخرى، كما يشير Dave Rich، وهو عضو بالمؤسسة الخيرية البريطانية 'Community Security Trust': فإن 'ما قد يستهدف مجتمعا ما قد يستهدف بسهولة مجتمعا آخر إذا تغيّرت الظروف'<sup>(63)</sup>. وكلُّ وضعٍ قابلٌ للتغيير. عندما أقرأ أن 'الشكل الحديث لمعاداة السامية قد سلك مساره التاريخي'<sup>(64)</sup>، أتذكّر تصريحاً آخر: إن

(60) Maleiha Malik, 'Muslims are now getting the same treatment Jews had a century ago', Guardian, 2 February 2007, Guardian Comment Is Free website: [www.theguardian.com/commentisfree/2007/feb/02/comment.religion1](http://www.theguardian.com/commentisfree/2007/feb/02/comment.religion1) (تمّ تصفحه في 11 أغسطس 2014).

(61) للحصول على نموذجٍ لكيفية التعامل مع السؤال بتوازنٍ وحرصٍ، راجع: Sabine Schiffer و Constantin Wagner 'Anti-Semitism and Islamophobia—new enemies, old patterns', Race and Class, vol. 52, no. 3, 2011, 77–84.

راجع أيضاً:

Nasar Meer (ed.), Racialization and Religion: Race, Culture and Difference in the Study of Antisemitism and Islamophobia (London: Routledge 2014).

نُشر الكتاب في الأصل كعددٍ خاصٍّ في دورية Ethnic and Racial Studies, vol. 36, no. 3, 2013.

(62) Bunzl, Anti-Semitism and Islamophobia, 37–43; Bangstad and Bunzl, "Anthropologists are talking" about Islamophobia and anti-Semitism in the new Europe, 225.

يميل اليمين المتطرف أيضاً نحو إسرائيل في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وبالتالي يثير جدلاً آخر بين المسلمين واليهود.

(63) مقتبس من:

Anne Karpf, 'Don't be fooled. Europe's racists are not discerning', Guardian, 28/03/ 2012, 30.

(64) Bunzl, Anti-Semitism and Islamophobia, 24

انتشار الديمقراطية الليبرالية قد يعني 'نهاية التاريخ'<sup>(65)</sup>. ولكن التاريخ لديه القدرة عادةً على التغيير والتأقلم. يبدو أن كلاً من Fukuyama وBunzl قد نسيا أن الوقت يمر، وأن أنظمة من الماضي قد تظهر من جديد بشكلٍ مختلفٍ. يمكن لتصريحاتٍ جريئة كهذه أن تكون بالتأكيد واضحةً، وتلفت انتباهنا إلى تحوُّلٍ في مجرى الأوضاع الإنسانية؛ ولكن قيمتها تبقى دائماً محدودة، مثل أوجه التشابه.

---

(65) Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man* (London: Penguin 1992), xi

كان لـ Fukuyama آراء ثانوية حول أطروحته، انظر:

'Second thoughts: the last man in a bottle,' *The National Interest*, no. 56, Summer 1999, 16–33.



### سيرة وجيزة عن المؤلف:

**Brian Klug**: باحث رفيع المستوى في الفلسفة بـ St Benet's Hal-Oxford ، وعضو جامعي بكلية الفلسفة-جامعة أكسفورد. وهو زميل باحث بـ College of Arts and Sciences, Saint Xavier University, Chicago ، وباحث فخري بـ the Parkes Institute for the Study of Jewish/non-Jewish Relations, University of Southampton. كان باحثًا زائرًا بـ " the International Centre for Muslim and non-Muslim Understanding, University of South Australia, Adelaide". ونشر العديد من المؤلفات حول معاداة السامية، والعرقية، والهوية اليهودية، والمواضيع ذات الصلة. وهو مؤلف كتاب " Jewish and Doing Justice: Bringing Offence: The Jewish Case (Seagull " و "Argument to Life (Valentine Mitchell 2011)". وقد ساهم في إعداد العديد من المؤلفات، وساهم بفصولٍ في كتبٍ أخرى. وهو محررٌ مساعدٌ بمجلة Patterns of Prejudice.

### سيرة وجيزة عن المترجم:

**عبد الحكيم الفرقان**: باحث متخصص في الدراسات الإنجليزية ضمن مجال العلوم الإنسانية. حاصل على إجازة جامعية في اللسانيات الإنجليزية من جامعة محمد الخامس بالرباط. وهو شاعر، ومترجم، ومهتم بالثقافة الأمازيغية. يعمل حاليًا بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء - المغرب.



مركز نهوض  
للبحوث والدراسات  
NOHOUDH CENTER  
FOR RESEARCHS  
AND STUDIES